خطبة الجمعة

ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠١٥/٠٣/١٣

في مسجد بيت الفتوح في لندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بـــالله مـــن الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الـــدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْـــضُوبِ عَلَـــيْهِمْ وَلا الضالِّينَ﴾، آمين.

سأسرد لكم الآن بعض الروايات التي رواها سيدنا المصلح الموعود ﷺ، ولها علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع المسيح الموعود عليه السلام. تُستمَدّ من هذه الروايات دروس كثيرة وتساعدنا اليوم أيضا على تحديد دروبنا.

الحادث الأول أو الرواية الأولى تتعلق بحماس المسيح الموعود عليه السلام في تبليغ الدعوة، وتلقي ضوءا كيف كان عليه السلام يريد أن يرى أفراد جماعته. لقد ذكر المصلح الموعود ﷺ أفكار المسيح الموعود عليه السلام حول تبليغ دعوة الجماعة، والحماسَ والألـــمَ اللذينِ كان يشعر بهما لتبليغ الدعوة وكيف كان يودّ أن يرى تأثيرهما على أفراد الجماعة، فقال: كانت أفكار غريبة عن تبليغ الدعوة تغزو ذهن المسيح الموعود عليه السلام دائما، فكان يفكّر ليل نهار أن تصل هذه الدعوة إلى أكناف العالم بطريقة ما. ذات مرة اقترح عليه السلام أن يكون لباس أفراد جماعتنا مختلفا عن غيرهم حتى يصبح كل شخص وسيلة للتبليغ في حد ذاته. لقد قدِّمت اقتراحات مختلفة حول هذا الموضوع ليتميز الأحمديون عن غيرهم.

أقول: التمييز بحد ذاته لا يعني شيئا، فلا بد أن يكون في باله عليه السلام أنه كما سينتبه الآخرون إلى الأحمديين بسبب اللباس الخاص ونظرا إلى حالتهم العملية والعقدية كذلك سوف يشعر كل أحمدي بنفسه أيضا أنه سيُعرف بين الناس كأحمدي لذا يجب عليه أن يحافظ على حالته العملية والعقدية بما يجعله مستقيما دائما.

فنحن بحاجة إلى خلق هذا الشعور اليوم أيضا أن اللباس ليس شيئا يُذكر بل يجب أن يعرف كل واحد من حالتنا وبمجرد رؤيتنا أن هذا الشخص أحمدي ويتميز عن الآخرين.

كان الحديث يدور حول اللباس، فيتابع المصلح الموعود عليه السلام ويبين كيف يجب أن يتراءى مظهر داعية الجماعة بل كل من يعمل في سبيل الدين فيقول: من الضروري لتبليغ الدعوة أن تكون صورة الداعية أو الذي يخدم الدين صورة المؤمن الحقيقي. ثم قال ناصحا أعضاء مجلس خدام الأحمدية: أوجّه أنظار أعضاء مجلس خدام الأحمدية إلى

أنه يجب أن تكون صورتهم الظاهرية أيضا بحسب الشعائر الإسلامية وعليهم أن يختاروا البساطة فيما يتعلق بلحيتهم وشعرهم ولباسهم. الإسلام لا يمنعكم من ارتداء لباس نظيف وأنيق بل يجب أن يكون لباس المرء نظيفا وأنيقا. الإسلام لا يمنع من ذلك بل يأمر بأن تهتموا بالنظافة الظاهرية ولا تقربوا الوساخة، ولكن التصنع والتكلف في اللباس ممنوع. كذلك تكون عند بعض الناس عادة أنهم يفحصون لباسهم بين الفينة والفينة، فمثلا ينظرون إلى ياقة معطفهم هل عليها غبار أم لا، هذا عبث تماما. كان الناس يُهدون المسيحَ الموعود عليه السلام ألبسة فاخرة وكان يلبسها أيضا، ولكنه ما كان يهتم باللباس أكثر من المفروض، فما كان يبالغ في تنظيف لباسه بفرشاة الملابس حتى لا يكون هناك أدنى غبار على اللباس. لا شك أن تنظيف الملابس بالفرشاة ليس ممنوعا ولكن من المستحسن ألا يبالغ المرء في ذلك لدرجة أن يبذل معظم وقته في هذه الأمور. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه بأن بعض الناس يكونون مصابين بشعور الدونية لدرجة رأيت بعضهم أنهم يبكون إن لم يكن لديهم معطف من نوع معين أو لباس معين للارتداء بمناسبة احتفال مثلا. يجب على الإنسان أن يخالط الناس بكل ثقة في أي لباس تيسر له. الأصل في الموضوع هو ستر العورة والنظافة والأناقة. فإذا كان عند المرء لباس يستر عورته ومع ذلك يحرم نفسه من مقابلة شخص معين واضعا في الحسبان أنه لا يملك معطفا من نوع خاص أو قميصا من نوع خاص فهذا ليس دينا بل هي أمور دنيوية.

ففي ذلك نصيحة للدعاة ولكل من نذر حياته خاصة، ولأفراد الجماعة عامة أن عليهم ألا يركّزوا على الأمور الظاهرية كثيرا فينسَوا الهدف الحقيقي. ولكن لا يهتم البعض بالنظافة، فعليهم أن يتذكروا أن النظافة جزء من الإيمان. فيجب أن يكون هناك اعتدال في كل شيء دون إفراط أو تفريط.

ثم يروي المصلح الموعود رضي الله عنه حادثا يتعلق بتبليغ الدعوة فيقول: كان المسيح الموعود عليه السلام يركز على تبليغ الدعوة كثيرا. ذات مرة سافر عليه السلام إلى دلهي، وما أثار استغرابي هذه المرة هو أن أهل دلهي تخلوا عن عادة النقاش العقيم وإلا كان من عادتهم أنه كلما جئت إلى هنا أو جاؤوا لمقابلتي لم يتحدث أحد من أهل دلهي بكلام معقول. أذكر جيدا أنني سافرت إلى دلهي، كنت حينها صغيرا وكنتُ قد نزلت عند أقاربي، وفي هذه الأثناء جاء أحد أقربائنا من مدينة حيدر آباد لزيارة جدتي التي كانت أمّي نازلة عندها. فأشار هذا الشخص إليّ وسأل: من هذا الولَد؟ قالت جدتي: هو ابن فلان وأشارت إلى أمّي. فقال لي: ما هذه الضجة التي أثارها والدك إذ يقول الناس أنه يقول ما ينافي القرآن. كنتُ صغير السن ولكني كنت أعرف بحث وفاة المسيح الناصري عليه السلام جيدا، فبدلا من أن أقلق بدأت الحديث حول موضوع وفاة المسيح وقلتُ بأن المسيح الموعود عليه السلام لا يقول إلا أن عيسى عليه السلام قد مات والمسيحُ الموعود والمهدي المعهود الذي كان مجيئه مقدرا في هذا الزمن سيأتي من هذه الأمة.

يقول المصلح الموعود رضي الله عنه بأني كنت أحفظ الآيات القرآنية التي تدل على وفاة المسيح عليه السلام بما فيها: ﴿يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ﴾ فشرحت له هذا الموضوع مفصّلا، فقال مستغربا أشد الاستغراب: يثبت من هذه الآية أن عيسى عليه السلام قد مات فعلا، ولكن لماذا يشغب المشايخ إذًا؟ قلت: هذا يجب أن تسأل عنه المشايخ أنفسهم.

ولكن كانت ردة فعل جدتي غريبة إذ بدأت تقول له وتكرر بأعلى صوتها: عليك أن تتوب، عليك أن تتوب. كان ذهن الولَد متأثر سلبيا نتيجة سماعه مثل هذا الكلام وقد أفسدتَه أكثر بتصديقك إياه.

كذلك يذكر المصلح الموعود ﷺ حول موضوع تبليغ الدعوة أسلوبا كان أحد صحابة المسيح الموعود عليه السلام يستخدمه، ويقول: كان ميان شير محمد غير مثقف وكان من صحابة المسيح الموعود عليه السلام الأوائل، وكان من الذين يفنون أنفسهم في الدين. كان يسوق عربة المسافرين. لعله كان يسوقها بين "بَهَلَوْر" و"بَنغا". كان من عادته أن يُركب المسافرين في عربته ثم يسألهم: هل منكم شخص مثقّف؟ إذا وجد بينهم شخصا مثقفا يقول له: لقد جاءت هذه الجريدة باسمي فأرجو أن تقرأها لي. من المعلوم أن الراكب في العربة يتعرض لهزات عنيفة ويودّ أن يجد شغلا يشتغل به، فكان شخص منهم يقرأ له الجريدة بكل شوق. وعندما بدأ بقراءتها كان ميان شير محمد يناقش معه ما جاء فيها ويسأله ما معنى هذه الجملة وتلك. وكان أسلوب نقاشه قويا بحيث كان قارئ الجريدة غير الأحمدي يضطر أن يرد على أسئلته بعد تفكير رصين، وكان كلامه يترسخ في ذهنه جيدا.

يقول المصلح الموعود ﷺ بأن ميان شير محمد سرد له ذلك بنفسه وقال بأن عددا لا بأس به من الناس قد انضموا إلى الجماعة نتيجة تبليغ الدعوة إليهم بهذا الأسلوب أي نتيجة طلبه من الناس أن يقرأوا له جريدة "الفضل" أو "الحكم". وقد عاش بعد ذلك إلى عدة سنين ولا يُعلم كم أناسا انضموا إلى الجماعة بواسطة أسلوبه هذا.

باختصار، ليس ضروريا أن نكون بحاجة إلى علماء كبار لتبليغ الدعوة بل المناطق التي لا يوجد فيها شخص مثقف يمكن أن يُرسَل إليها شخص أحمدي غير مثقف أيضا إذ يمكننا أن نفهّمه المسائل. وهذه النصيحة موجّهة إلى فروع الجماعة الصغيرة والنائية بوجه خاص حتى يبدأ العمل فيها كيفما اتّفق. أما إذا ظللنا ننتظر أن نجد علماء فلا ندري كم سيطول الانتظار.

أقول: مع أنه توجد عندنا معاهد تأهيل الدعاة بفضل الله تعالى ويتخرج فيها الدعاة باستمرار ومع ذلك نرى أنهم قد لا يسدّون حاجتنا التي ستظهر للعيان في المستقبل القريب لأن العلماء يضطرون للخوض في أمور دينية دقيقة ويكونون بحاجة إلى دراسة وتحصيل العلم إلى فترة طويلة. أي يكون الإنسان بحاجة إلى وقت طويل للاطلاع على أمور دينية دقيقة. ومع ذلك يقول رسول الله ﷺ: الدين يسرٌ.

ليس ضروريا لتبليغ الدعوة أن يستند الإنسان إلى بحوث علمية وعقد جلسات كبيرة أو اجتماعات حاشدة دائما بل يجب أن نسعى لإيجاد الطرق بحسب مقتضى الأمر. ففي هذا الزمن أيضا هناك كثير من الأحمديين الذين يجدون طرقا بحسب فهمهم وهم ناجحون جدا في هذا المجال بفضل الله تعالى.

يبين حضرته حادثا لصديق كل من سيدنا المسيح الموعود عليه السلام والشيخ محمد حسين البطالوي ويقول: هناك حادث ممتع من زمن المسيح الموعود عليه السلام وهو أنه كان لحضرته عليه السلام صديقٌ كان في الوقت نفسه صديقا للشيخ محمد حسين البطالوي أيضا، واسمه نظام الدين. كان قد حجّ سبع مرات، وكان مرحا ولطيف الطبع. لما كان على صداقة بالمسيح الموعود عليه السلام والشيخ محمد حسين البطالوي كليهما فقد تألّم كثيرا من إصدار الشيخ محمد حسين البطالوي الفتوى بكفر المسيح الموعود عليه السلام إثر إعلانه بأنه مبعوث من الله، وذلك لأنه كان واثقا جدا

بصلاح حضرته عليه السلام. كان يقيم في لدهيانه وعندما كان الخصوم يتكلمون ضد المسيح الموعود عليه السلام كان يخاصمهم، ويقول لهم: "يجب أن تذهبوا أولا إلى حضرته لتنظروا إليه فهو رجل صالح جدا. وإنني أقول ذلك بناء على معاشرتي معه ومعرفتي أنه حين يُشرح له أمرٌ من القرآن الكريم يستعد فورا لقبوله، ولا يخادع أبدا. إذا شُرح له من القرآن الكريم أن دعواه خاطئة، فأنا واثق بأنه سيقبل فورا."

فكان يجادل الناس كثيرا على هذا الأمر ويقول عندما أذهب إلى قاديان سأرى كيف لا يتخلَّى الميرزا عن دعواه. *ويقول:* "سوف أضع أمامه القرآنَ الكريم وعندما أقدم له آية تثبت صعود عيسى عليه السلام إلى السماء حيا، سيقبل فورا. فأنا أعلم جيدا أنه لا يقول شيئا بعد الاستماع إلى القرآن الكريم." ثم ذات يوم وصل ميان نظام الدين من لدهيانة إلى قاديان وفور وصوله إلى حضرته عليه السلام سأله هل قد تركت الإسلام وأنكرت القرآن الكريم؟ فقال له المسيح الموعود عليه السلام كيف يمكن لي ذلك، فأنا أؤمن بالقرآن الكريم والإسلام هو ديني. فقال الحمد لله. فهذا ما أقول للناس أنه ليس في وسعك تركُ القرآن الكريم. ثم قال: إذا قدمتُ لك مئات الآيات من القرآن الكريم التي تثبت أن عيسى عليه السلام صعد إلى السماء حيا فهل سوف تقبل ذلك؟ فقال المسيح الموعود عليه السلام: لا أطلب منك مئات الآيات وإنما تكفيني آيةٌ واحدة من القرآن الكريم التي تثبت ذلك فسوف أقبل. فقال: الحمد لله. هذا ما كنت أناقش الناس حوله أن إقناع الميرزا ليس صعبا، وأن الناس عبثا يثيرون شغبا. ثم قال: إذا قدمتُ لك مائة آية تثبت حياة المسيح فهل سوف تقبل؟ فقال حضرته: "قد قلت لك سلفا إني سوف أقبل حتى لو قدمتَ لي آية واحدة فقط على هذا الموضوع، فكما أن العمل بمائة آية من القرآن الكريم ضروري فكذلك يجب العمل بكل كلمة منه، وليست قضية مائة آية أو واحدة." فقال لحضرته: إذا قدمت لك خمسين آية بهذا الموضوع فهل تعدني بأنك ستتخلى عن دعواك؟ فقال له سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قد قلت لك إني مستعد لقبول آية واحدة فقط، فكلما تمسَّك حضرته بالاكتفاء بآية واحدة اختلج شكٌّ في قلب نظام الدين أنه قد لا تكون في القرآن الكريم آياتٌ كثيرة بهذا الموضوع، فقال لحضرته أخيرا: إذا قدمتُ لك عشر آيات فسوف تقبل حتما. فابتسم حضرته وقال أنا ما زلت متمسكا بقولي الأول، فأرجو أن تقدِّم لي آية واحدة فقط. عندها قال لحضرته عليه السلام: الآن أود أن أنطلق، فسأعود إليك بعد بضعة أيام لأقدم لك الآيات من القرآن الكريم.

في تلك الأيام كان الشيخ محمد حسين البطالوي يقيم في لاهور وكان الخليفة الأول أيضا يقيم هناك، حيث كان المزمع انعقاد المناظرة بين الشيخ والمسيح الموعود عليه السلام، وكان الخليفة الأول هناك لكتابة الشروط، وكانت بينهما مراسلة، وكان موضوع المناظرة وفاة المسيح. كان الشيخ محمد حسين البطالوي يقول: لما كان الحديث مفسرا للقرآن الكريم لذا إن ثبت أمر من الأحاديث فينبغي أن يُنسب إلى القرآن الكريم نفسه. ومن ثَم ينبغي أن يكون النقاش حول وفاة المسيح أو حياته بناء على ما ورد في الأحاديث. وكان حضرة المولوي أي الخليفة الأول يقول إن القرآن الكريم مقدَّم على الحديث، فلا بد من إثبات الدعوى من القرآن الكريم حصرا. فدام النقاش على هذا الأمر أياما عدة، لكنه لإنهاء النقاش والتوصل إلى القرار بحدوث المناظرة بين سيدنا المسيح الموعود عليه السلام والشيخ البطالوي سلَّم حضرته بكثير مما قال الشيخ، وكان الشيخ مسرورا جدا من أن حضرته يقبل الشروط التي يريدها.

وأثناء ذلك وصل إلى الشيخ البطالوي ميان نظام الدين وقال له أنْهُوا النقاشات كلها. فإني آتٍ من عند الميرزا فهو مستعد للتوبة تماما. بما أنني صديقك أنت وفي الوقت نفسه أُصادقُ الميرزا أيضا فأنا أتألم من هذا الاختلاف. وأنا أعرف أيضا أن في طبع الميرزا المحترم برًّا وصلاحا، فقد ذهبتُ إليه وأخذت منه عهدا بأني إذا قدمت له عشر آيات من القرآن الكريم على حياة المسيح فسوف يؤمن بأن عيسى عليه السلام حي. أرجو أن تُخرج لي عشر آيات بهذا الموضوع. كان الشيخ محمد حسين البطالوي حادَّ الطبع ومتسرعا أيضا. فقال له: أيها الشقي، لقد أفسدتَ عملي كله، فقد أقنعتُه بعد مناقشة دامت شهرين بأن تكون المناظرة بالأحاديث، والآن أعدتَه مرة أخرى إلى القرآن الكريم. عندها قال له ميان نظام الدين: إذن ليستْ هناك عشر آيات تؤيدك؟ فقال له الشيخ: أنت رجل جاهل، فما أدراك ماذا يعني القرآنُ الكريم. فقال له: إذن أنا مع مَن معه القرآنُ الكريم. قال ذلك وجاء إلى قاديان وبايع على يد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام.

يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه: انظروا كم كانت ثقتُه بالقرآن الكريم قويةً، فبأي ثقة قال: لا يمكن أن يكون القرآن الكريم ضده. وهذا لا يعني أن للقرآن الكريم علاقةَ قرابة بحضرته أو بالجماعة الإسلامية الأحمدية. إنما القرآن الكريم يهدي إلى سُبل الصدق، ويحمي الفريق الذي يتمسك بالصدق. لما كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام واثقا بأنه على الحق، لذا كان يؤيده القرآن الكريم أيضا. ولهذا السبب كان حضرته عليه السلام يقول: "إذا ثبت أن أيا من دعاواي لا توافق القرآن الكريم فسوف أرميها في سلة المهملات". وهذا لا يعني أن حضرته كان يشكّ في دعواه، وإنما قال ذلك بناء على يقينه بأن القرآن الكريم يصدقه حتما. وهذا الأمل واليقين قد جعله مفلحا في العالم. فيجب أن يكون كل أحمدي واثقا وموقنا بأن القرآن الكريم يؤيد المسيح الموعود عليه السلام والجماعةَ الإسلامية الأحمدية. وإن تأييد القرآن الكريم هو الذي يزيد عدد أفراد الجماعة يوميا بشرح صدور طيـــبي الطبع.

ثم قال حضرته موضحا أن المعارضة أيضا تتسبب في اهتداء الناس. فقال: عندما تشتد المعارضة تُحقق الجماعة تقدمًا، وعندما تزداد المعارضة تزداد تأييدات الله ونصرتُه الإعجازية. ولذلك عندما كان أحد أبناء الجماعة يقول لسيدنا المسيح الموعود عليه السلام إن في منطقتهم معارضةً شديدة كان حضرته يقول له: هي علامة تقدُّمكم، وحيثما تكون المعارضة يزداد عدد أفراد الجماعة، لأنه نتيجة المعارضة يطَّلع كثير على الجماعة من غير المطلعين، وتدريجيا تنشأ في قلوبهم رغبة في قراءة كتب الجماعة. وعندما يقرأون الكتب يخلب الصدقُ قلوبهم. ذات مرة جاء شخص إلى المسيح الموعود عليه السلام وبايعَه، وبعد أخذ البيعة سأله حضرته عليه السلام مَن الذي بلَّغه دعوة الأحمدية، فقال فورا دون تردد: لقد بلَّغني الشيخ ثناء الله. فسأله حضرته بمنتهى الاستغراب كيف ذلك؟ فقال: كنت أقرأ جريدة الشيخ وكُتبَه وألاحظ فيها دوما معارضة شديدة للجماعة الأحمدية. ذات يوم خطر ببالي أنه ينبغي أن أقرأ شخصيا أيضا كتب الجماعة وأطَّلع على ما ورد فيه. وعندما بدأتُ قراءتها انشرح صدري، واقتنعتُ للبيعة. فأول فائدة للمعارضة أن بها تتقدم الجماعاتُ الإلهية ويهتدي الكثيرون.

اليوم أيضا تتسبب المعارضة في انشراح صدور الناس، فالدعاة يذكرون ذلك في تقاريرهم عادة كما تصِلني عدد من الرسائل مباشرة بهذا الموضوع، حيث يخبر الناس كيف تعرَّفوا إلى الجماعة.

يقول سيدنا المصلح الموعود ﷺ في بيان كيف يهب الله العقل بعد البيعة حتى للأمّي أيضا، ويصبح حاضر البديهة. ثم ذكر حادثا، أن ميان نور محمد من سكان منطقة لدهيانه كان قد عقد العزم على نشر الإسلام في الطبقات الدنيا، فكان يبلِّغ الكنَّاسين دعوة الإسلام وكان معظمهم مسيحيين. وصار مئات الكناسين مريدين له. ثم بايع ميان نورُ محمد المسيحَ الموعود عليه السلام وكان بعض مريديه يأتون إلى هنا أيضا أحيانا، لإيمانهم بأن حضرة الميرزا شيخٌ لشيخهم.

وكان أحد أعمامي من قرابة بعيدة قد جعل ينشر بأنه شيخ الكناسين وذلك استهزاء بالمسيح الموعود عليه السلام وبدافع العداء له، وادعى أنه إمام الكناسين. ذات يوم جاء إلى هنا بعضٌ من الذين أسلموا من الكناسين وكانوا معتادين على شرب النرجيلة. فحين رأى هذا -الذي كان يعدّ نفسه شيخَ الأراذل- النرجيلةَ عندهم توجَّه إليهم وجلس عندهم من أجل النرجيلة. يقول حضرة المصلح الموعود إن قريبنا هذا بدأ يتكلم معهم عن أمور الدين، وسألهم لماذا أتَوا إلى الميرزا، فهم في الحقيقة مريدوه هو وليس الميرزا. ثم سألهم قائلا: ما الذي أعطاكموه الميرزا؟ فهم كانوا أميين كما يكون الكناسون عادة، *فهو يقول هذا قبل ما يقارب سبعين سنة، ويقول* في العصر الراهن قد تعلَّم الكناسون لحدٍّ ما، لكن هذا حدث قبل أربعين سنة، أي في زمن المسيح الموعود عليه السلام حيث كان هؤلاء القوم أميين مطلقا. لكن قريبنا هذا حين سألهم ماذا أعطاكم الميرزا قالوا لا نعرف كثيرا وإنما نفهم على الأقل أن الناس كانوا في السابق يسموننا أراذلَ والآن لعلاقتنا بالميرزا المحترم يسموننا مرزائيين، فكنا أراذل في السابق والآن أصبحنا "مرزا" ببركة الانضمام إلى جماعة المرزا. أما أنت فكنتُ في السابق مرزا وبسبب معارضتك لحضرة المرزا أصبحتَ من الأراذل.

يقول حضرة المصلح الموعود: إن هذه الأمور في الظاهر تعدّ طرائف، ولكن في الوقت نفسه تكمن فيها فلسفة معرفية أيضا. فقد بيَّن أولئك الأميون بألسنتهم مدلول أن الله يدمر معارضي الأنبياء، أما المؤمنون بهم فيهب لهم رقيا وازدهارا. فالحق أن عقل الإنسان يصبح أكثر فهما للأمور الدينية فور انضمامه إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية ويفوق العلماء. لكننا حتى لو تجاهلنا هذا الأمر، أخبروني أي أحمدي يمكن أن نقول بحقه أن أناسا من طبقته غير موجودين في العالم، بل كل أحمدي يكون أكثر فهما وإدراكا للأمور الدينية من كل مسيحي وهندوسي وسيخي ومسلم غير أحمدي من طبقته.

وهناك واقعة يذكرها المصلح الموعود ﷺ عن ألوان الإخلاص الفريدة للأحمديين ورغبتهم العارمة في تحقيق وحي المسيح الموعود عليه السلام، وعن تعرضهم للعداء بسبب الأحمدية ثم تحوّلِ هذا العداء إلى المحبة، فيقول حضرته: أتذكر -وأنا صغير- قدومَ أهل محافظة غجرات إلى هنا أي إلى قاديان. كانت مدينة سيالكوت وغجرات تُعدّان مركز الأحمدية وكانت مدينة غورداسبور متخلفة من هذه الناحية وذلك لأن القاعدة تقول إنه لا يقدَّر نبي في بلده حق قدره. وكانت مدينة سيالكوت تحتل مركزًا أول في ذلك الزمن وغجرات مركزًا ثانيا. لا أزال أتذكر وجوه رجال من غجرات، وأتذكر أن كثيرا منهم بسبب إخلاصهم ورغبتهم العارمة في تحقيق وحي المسيح الموعود: يأتيك من كل فج عميق، كانوا يأتون إلى قاديان مشيا على الأقدام دون أن يكون أحدهم يعاني ضيقًا

ماليا. (أي أنهم لم يكونوا يأتون قاديان ماشين من سيالكوت وغجرات بسبب ضيق مادي بل رغبةً منهم لتحقيق وحي المسيح الموعود عليه السلام)

وكان من بينهم كبار المخلصين الذين كانوا يحظون بقرب المسيح الموعود عليه السلام. والواقعة التالية أيضا تتعلق بأهل غجرات، وكان الحافظ روشن علي يرويها، وذكرها قبل قليل، أنه في أيام الجلسة السنوية كانتْ تدخل قاديان جماعةٌ من ناحية، وتدخل جماعةٌ أخرى من ناحية أخرى مشيًا على الأقدام. يقول الحافظ روشن علي: لقد رأيت أنه عندما التقت هاتان الجماعتان اللتان وردتا من ناحيتين مختلفتين أخذتا تبكيان. سألتهم: لماذا تبكون؟ قالوا: جماعة منا سبقونا بالإيمان (أي من إحدى هاتين الجماعتين الواردتين سبقوا بالإيمان) وتعرضوا للتعذيب على يد الجماعة الثانية، لأنهم كانوا يقطنون القرية نفسها، وقد عُذِّبوا لدرجة اضطروا لمغادرة القرية، وبعد ذلك لم نعد نعرف عن مسيرهم. وبعد فترة انتشر نور الأحمدية فينا أيضا، ودخلنا في الأحمدية نحن الذين قد أخرجنا الأحمديين من بيوتهم. (أي المعارضون أيضا دخلوا في الأحمدية لاحقا بعد أن أخرجوا مَن سبقهم في البيعة) يقول: فلما وصلنا اليوم إلى هنا فبحكمة الله تعالى وصل في الوقت نفسه إخواننا الذين أخرجناهم من بيوتهم، فلما رأيناهم فاضت قلوبنا بهذه العاطفة المؤلمة أن هؤلاء كانوا يجروننا نحو الهداية غير أننا عاديناهم معاداةً شديدة لدرجة اضطررناهم إلى مغادرة بيوتهم. وقد وحّدَنا الله تعالى جميعا اليوم بفضله، وهذا ما أثار عواطفنا فسالت دموعنا. فهذه بركات الأحمدية أنها توحد المفترقين. فمن ينزغ الشيطان بينهم توحدهم الأحمدية مرة أخرى بفضل الله تعالى، وسترون مثل هذه المشاهد الآن أيضا.

إن المشايخ قد أعطوا انطباعًا خاطئًا لعامة المسلمين أن المسيح الناصري عليه السلام كان يصنع الطيور بيده ثم ينفخ فيها الروح فكانت تطير كالطيور العادية. ينمّ قولهم هذا عن جهل بالقرآن الكريم، والمعنى الحقيقي لهذا البيان أنه كان يربي الناس المتمتعين بالمؤهلات الروحانية ويجعلهم يطيرون إلى الله تعالى طيرانًا روحانيًا. على أية حال، كان أحد المشايخ الذي يتبنى هذه الفكرة قد تحاور مع المسيح الموعود عليه السلام. يقول المصلح الموعود رضي الله عنه: سأل المسيح الموعود عليه السلام أحدَ المشايخ: إنك تزعم أن المسيح عليه السلام كان يخلق الطيور، وهذا يعني أن الطيور التي نراها في الدنيا بعضها قد خلقها الله تعالى وبعضها قد خلقها المسيح؛ فهل بوسعك أن تدلّنا على ما يميز بين ما هو من خلق الله وما هو من خلق المسيح عليه السلام؟ فقال الشيخ باللغة البنجابية ما معناه: من الصعب الآن التمييز بين ما خلق الله من هذه الطيور وبين ما خلقه المسيح، لأنها قد اختلطت، فمن الصعب الآن التمييز بينهما.

ثم يذكر حضرته رضي الله عنه عما يقال عن المسيح الموعود عليه السلام أنه استخدم لغة قاسية ضد المسيحيين في حين أن الحقيقة مختلفة تمامًا، إذ لم تكن البداية من قِبل حضرته، يقول المصلح الموعود: عندما يتجاوز الأمر الحدود فلا بد من الردّ عليه إلى حدّ ما. كان المسيحيون يشنّون دوما هجمات على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، فلما كان المسلمون لا يردّون على هجماتهم، لذلك كان المسيحيون يظنون أن مؤسس الإسلام يفيض بهذه العيوب، وإذا كان هناك مؤسس أية ديانة يخلو من العيوب فهو يسوع. كانوا يفسرون طيبة المسلمين تفسيراتٍ خاطئة إذ

كانوا يرون أنهم يثيرون مثل هذه الاتهامات القذرة ولا يرد المسلمون عليها بالمثل، مما يدل على أن هذه العيـــوب موجودة في مؤسس ديانتهم.

يقول المصلح الموعود ﷺ: لقد مضت أيام وأسابيع والسنون والقرون واحد تلو الآخر، وظل المسيحيون يثيرون مثل هذه الأمور القذرة إلى ٧٠٠ أو ٨٠٠ عام متتالية ضد المسلمين أو ضد شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، وظل المسلمون يصفحون عنهم، وفي النهاية أذن الله تعالى للمسيح الموعود عليه السلام لكي يتصدى لهم ويخبرهم ما إذا كنا نرى فيهم عيبًا أم لا. فقد بدأ المسيح الموعود عليه السلام – مخاطبًا يسوع – كتابة تلك الأمور التي كان اليهـــود يتكلمون بها عنه أو التي كانت مكتوبة في كتب المسيحيين أنفسهم، ولم يكتب المسيح الموعود عليه السلام إلا كتابين أو ثلاثة كهذه حتى أثار العالم المسيحي ضجّة بأن هذا الأسلوب ليس جيدا. فردّ عليهم حضرته وقال: كنا نقـــول لكم من زمان أن هذا الأسلوب منكم ليس جيدا ولكن لم تلقوا لقولنا بالا، والآن لما وُجّهت الضربة إليكم عدتم إلى صوابكم وبدأتم تقولون إن هذا الأسلوب ليس جيدا.

فليكن معلومًا أن المسيح الموعود عليه السلام إذا كان قد استخدم أحيانا كلمات قاسية فلم يكن هو البادئ بها بل استخدمها ردًا على عدوان الآخرين.

وتحدث حضرة المصلح الموعود ﷺ عن طبيب كبير شهير في منطقة البنجاب كان الخليفة الأول أيضا يكنّ له تقديرا كبيرا فقال: كان هذا الطبيب يكنّ حبًّا واحترامًا كبيرين للمسيح الموعود عليه السلام، ومع ذلك لم يصدّق دعواه. وهناك قصة شيقة له بالنسبة لإعلان المسيح الموعود بوفاة عيسى عليهما السلام حيث كان يرى أن وراء هذا الإعلان سرًّا لا يعرفه الناس. يذكر حضرة المصلح الموعود ﷺ هذه القصة على هذا النحو: كان شعيب عليه السلام يقول لقومه: لا تستولوا على أموال الناس، ولا تنفقوا أموالكم فيما لا يحلّ، فكانوا يتعجبون من قوله ويقولون لقد أصابه الجنون إذ يتكلم كالمجانين. وفي هذا العصر أيضا نجد أن الناس رموا المسيح الموعود عليه السلام بالجنون – والعياذ بالله– فإنه لما عرض على الناس مسألة وفاة عيسى عليه السلام لم يستطع المسلمون إدراكها وقالوا لقد ظل أكابر الأمة منذ ١٣ قرنا يقولون إن عيسى عليه السلام حي في السماء، فكيف يصح القول بوفاته. وكم كان الناس موقنين بحياة عيسى عليه السلام وعدم وفاته فهذا يتضح لكم جيدا من قصة هذا الطبيب الشهير. يقول حضرة المصلح الموعود ﷺ: كان في البنجاب طبيب شهير وكان حضرة الخليفة الأول ﷺ معترفا بعلو كعبه في الطب، وكان اسمه حكيم الله دين وكان من مدينة "بهيرة"، وذات مرة زاره المولوي فضل الدين البهيروي الذي كان صديقا حميما للخليفة الأول ومن الأحمديين المخلصين، وبدأ يبلّغه دعوة الأحمدية، وبعد قليل قال له الطبيب: لماذا تقوم بتبليغي، وماذا تعرف عن هذا الأمر وماذا عسى أن تخبرني، فليس عندك عشر معشار الاحترام الذي أكنه تجاه حضرة المرزا. فسُرّ المولوي فضل دين من قوله هذا وظن أنه أحمدي في قلبه فقال له: لقد سررت بقولك بأنك تكن احتراما كبيرا لحضرته، ويسرّني جدا أن أسمع منك المزيد عن جماعته. فقال الطبيب: إن الشباب الجاهلين في هذا العصر لا يتوصلون إلى حقيقة الأمور، ويخرجون للدعوة والتبليغ، كما جئتني الآن لتشرح لي مسألة وفاة المسيح مع أنك لا تعلم السبب وراء تقديم حضرة المرزا هذه الفكرة. فقال: أخبرْني من فضلك ما هي تلك الحكمة؟

قال: اسمَعْ. السبب هو أن حضرة المرزا كتب "البراهين الأحمدية". فهل من مسلم كتب مثل هذا الكتاب في ١٣٠٠ عام؟ لقد ملأ حضرته كتابه هذا علومًا لا توجد في أي كتاب كتبه مسلم. كان كتابه هذا سدًا للإسلام حماه به من هجمات الأديان الأخرى. ولكن المشايخ كانوا حمقى وأغبياء للغاية فبدلاً من أن يشكروه على ذلك ويتتلمذوا على يديه ويقولوا له سوف نستخدم الأدلة التي ذكرتها في الكتاب، كفّروه رغم رؤيتهم هذه الخدمة العظيمة التي أسداها للإسلام والتي لم يُسْدِها له أحد من المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خلال ١٣٠٠ عام. لقد أفتوا بكفره مغرورين ومستكبرين بأنهم علماء عظام. فغضب حضرة المرزا، وحُقّ له أن يغضب، فقال للمشايخ: تقولون بأنكم علماء عظام، فإذا كنتم مغرورين بعلمكم فتعالوا إلى البراز، فأنتم تعلمون أن مسألة حياة المسيح ثابتة من القرآن الكريم بكل جلاء بحيث يبدو إثبات وفاة المسيح أمرا محالا، ومع ذلك سأثبت لكم وفاته من القرآن الكريم، ففنِّدوا موقفي إن استطعتم. ثم قدّم مسألة وفاة المسيح بأدلة من القرآن الكريم إثباتًا لغباء المشايخ. والآن لو اجتمع مشائخ الهند كلها وبذلوا كل ما في وسعهم فلن يقدروا على تفنيد أدلة حضرة المرزا ولو انكسرت أقلامهم وتآكلت ألسنتهم. لقد بطش بهم بطشًا لا يقدرون بعده رفع رؤوسهم. ومع أن حياة المسيح ثابتة ولا حقيقة لوفاته، إلا أنه ليس هناك علاج لفضّ هذا الخصام إلا أن يذهب جميع هؤلاء المشايخ إلى حضرة المرزا بوفد ويقولوا له بأننا قد أخطأنا خطأ كبيرا إذ أسأنا لحضرتك بإصدار فتاوى الكفر، فاغفر لنا خطيئتنا. ولو فعلوا ذلك فسوف ترون كيف أن حضرته يثبت حياة المسيح من القرآن الكريم نفسه.

يا له من شرح غريب عجيب جاء به هذا الطبيب في هذه المسألة!

ترون كم كان هذا الطبيب شديدا في اعتقاده بحياة عيسى عليه السلام حيث لم يدخل في بيعة المسيح الموعود عليه السلام مع أنه كان يكن له احتراما كبيرا. لذا فأن يوفق المرء لبيعة المسيح الموعود عليه السلام فضلٌ من الله كبير.

علينا أن نتذكر أن قضية وفاة المسيح عليه السلام ليست أمرًا نظريا فقط، بل هي ضرورية جدا لقيام التوحيد، وكان المقدر أن يأتي المسيح الموعود عليه السلام لإرساء التوحيد في العالم. يقول حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه في ذلك: لقد أزال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام العائق في سبيل إرساء التوحيد الكامل بإثباته وفاة عيسي عليه السلام، ولذلك كان حضرته يركز على هذه القضية جدا، وكان يتحدث عنها ليلا ونهارا. أتذكر أن أحدًا قال لحضرته مرة: سيدي، دع عنك ذكر هذه المسألة الآن، فقال حضرته في جلال: أحيانا أشعر حيال عقيدة حياة المسيح بهياج شديد يكاد يصيبني بالجنون. لقد ألحقتْ هذه العقيدة بالإسلام ضررا شديدا، ولن أبرح حتى أسحقها سحقًا.

يقول بعض الناس اليوم أيضا ما أهمية هذه المسألة؟ ولكن الحق أن هذه العقيدة كانت عائقًا من العوائق في طريق إرساء أحدية الله تعالى في العالم، ومن أجل ذلك كان المسيح الموعود عليه السلام يشعر بهياج شديد ضدها، وهذا الهياج هو الذي اجتذب فضل الله فأرسى أساس الحق. وكل من يحب الإسلام منا يستطيع أن يدرك أنها مجرد قبس من النار الملتهبة في قلب المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام. إذا كان في قلب أحد حبٌ لله تعالى واضطرابٌ لنشر الإسلام فيمكنه أن يدرك أنها مجرد قبس من تلك النار التي كانت تشتعل في قلبه عليه الصلاة والسلام. لذا يجب أن تتمحور جهودنا كلها حول هذه القضية، ولكنا إذا لم ندرك هذا الأمر فكل عمل نقوم به سيؤدي إلى الشرك

وإن كان في ظاهره مظهرا من التوحيد. أما وكيف يمكن أن يكون عمل ما توحيدا وشركًا في الوقت نفسه، فيبين سيدنا المصلح الموعود ﷺ ذلك فيقول:

كان شخص يدرس هنا في عهد المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام وكان يقول دائما بأن النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب، وكان هذا يلبس طربوشا تركيا، فدعاه شخص مرة وقال: هل تظن أن النبي صلى الله عليه وسلم على علم بطربوشك هذا، فقال بدون خجل: نعم، يقينا. ويقول المصلح الموعود ﷺ: والسبب وراء قوله هذا أن الناس يصِلون إلى وحدانية الله ولا يصِلون إلى أحدية الله التي حين يصل إليها المرء يدرك أن الإنسان خالق ورازق إلى حد ما، ولكن شتان بين خلق الله وخلق الإنسان وبين رزق الله ورزق الإنسان، ولا يمكن اتحادهما في ذلك البتة.

أود هنا أن أفسر كلمتي الواحد والأحد على ضوء اللغة لتفهموا الأمر بسهولة. إن الله واحد وكذلك هو أحد، والمراد من وحدانية الله تعالى أنه واحد في صفاته، غير أن صفاته يمكن أن تنعكس في الإنسان إلى حد ما، وأفضل مثال ممكن لذلك هو شخصية رسولنا صلى الله عليه وسلم، إلا أنه لا أحد كامل الصفات سوى الله تعالى. أما أحدية الله فمعناه أنه يستحيل تصور شيء آخر إزاءه.

فكما قال المصلح الموعود ﷺ فإن التوحيد الحقيقي إنما يُرسى إذا أدركنا حقيقة الأحدية. وفّقنا الله تعالى أن نحقق أهداف المسيح الموعود عليه السلام فنرسي التوحيد الحقيقي في العالم. آمين.

۞۞۞۞۞